اكد ان عرفات لم يكن عائقا في طريق السلام.. وان اسرائيل هي العقبة الرئيسية

الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر: الاضطهاد في المناطق المحتلة أشد كثيرا من التمييز العنصري في جنوب افريقيا

■ قبل ثلاثين سنة بالضبط، في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) 1976، نجح الديمقراطي جيمي كارتر، وهو مزارع فستق عبيد مجهول من جورجيا، بالفوز على جيرالد فورد بصعوبة وأن يفوز بأهم منصب وأكثره تأثيرا في العالم، تلا وهو رئيس الولايات المتحدة.

تولى كارتر مرة واحدة فقط، من اثنتين يُمكّن منهما القانون، وفي سنة 1980 هزمه رونالد ريغان في 46 ولاية، في واحدة من أصعب الهزائم التي أصابت رئيسا يتولى عمله في التاريخ الامريكي.

كذلك انجازه الكبير، وهو اتفاقات كامب ديفيد التي أصبحت اتفاق السلام بين اسرائيل ومصر الذي وقع في سنة 1979، لم يُحسن مكانته في نظر الناخب الامريكي. لم يعلق به أي نجاح. لكنه مع غروب ايامه تحسن وضعه، في عمر الثانية والثمانين أصبح كارتر احدى الشخصيات التي تراودها وسائل الاعلام الامريكية جدا.

ان جميع برامج الاذاعات في الولايات المتحدة تقريبا والصحف المكتوبة ايضا، تلتمس ما يصدر عنه. لا بسبب طابعه الحاد ولغته الصريحة فقط. بل بسبب القتال المتواصل في العراق، وعدد القتلى الآخذ في الازدياد وعدم قدرة جورج بوش على عرض هدف واضح للقتال وموعد انتهائه، كل ذلك يخلق احساسا شديدا بالعجز وخسارة الثقة بالقيادة.

في وضع كهذا، ونسبة تأييد الرئيس بوش تتهاوى الى حضيض لا مثيل له يقرب من 30 في المئة، يصبح كارتر، أحد أبرز المعارضين للحرب في العراق، الناطق عن اولئك الذين يرون المستنقع المُغرق في العراق النمط الثاني من مستنقع فيتنام، وهم يؤيدون نضاله العام لسياسة ادارة بوش.

مع انقضاء ولايته قرر كارتر ان يخصص وقته لاحراز سلام في الشرق الاوسط، ولتقديم الديمقراطية في أنحاء العالم العربي وفي الأساس لانهاء الاحتلال الاسرائيلي للمناطق. من اجل ذلك أقام مركزا يحمل اسمه ويقع في أتلانتا. كجزء من ذلك النشاط لتشجيع الديمقراطية في أنحاء العالم أشرف مراقبون من قبل مركز كارتر على ما يزيد على 60 معركة انتخابية في أنحاء العالم، ثلاث منها في مناطق السلطة الفلسطينية. جلب له نشاطه الانساني مشايعة وتقديرا دوليا كبيرا، وقبل اربع سنين فاز بجائزة نوبل للسلام.

هكذا يبدو جدار مبنى

في 1996 وصل كارتر وزوجته روزالين الى قطاع غزة مع عشرات المراقبين الآخرين، في قصد الى الاشراف على عملية الانتخابات التي أُجريت آنذاك لاول مرة في مناطق السلطة الفلسطينية.

عندما وصلوا مكتب ياسر عرفات، انتظرتهم في المكان زوجته سهى وابنتهما الطفلة، ترتدي ثوبا ورديا جميلا على نحو خاص.

جلس كارتر في أحد المقاعد، وجرت نحوه الصغيرة بحماسة وسارعت الى الجلوس على ركبتي الجد الأشقر. ولما كان في المكان عشرات المصورين فقد سارعوا الى تخليد هذا المشهد، وطلب أحد المصورين الى عرفات نفسه ان يمسك ابنته الصغيرة على نحو مشابه. قدم كارتر الطفلة الى عرفات. لكن الطفلة بكت بكاء يمزق القلب، وتخلصت من يدي أبو عمار وتمسكت بالرئيس الامريكي وكأنها ترفض الانفصال عنه.

هذه القصة المجازية واحدة من التفصيلات المثيرة في كتاب جيمي كارتر الجديد المثير للاختلاف. «فلسطين. سلاما، وليس تمييزا عنصريا» هو الاسم المشحون الذي اختير للكتاب الذي يصف رحلاته الكثيرة الى الشرق الاوسط ولقاءاته قادة المنطقة. «تستعمل اسرائيل طريقة التمييز العنصري، وبحسبها يسيطر شعبان مختلفان على الارض نفسها، لكن بمقابلة ذلك يُفصلان على نحو تام بعضهما من بعض، في حين تسيطر اسرائيل على الارض بقمع عنيف لحقوق الشعب الفلسطيني»، يكتب الرئيس. «اسرائيل هي العقبة الرئيسية لاحراز سلام في الارض المقدسة».

لم يتأخر وصول الضجة: منذ نشر الكتاب قبل عدة اسابيع استطاع كارتر ان يجري مقابلات مع عشرات القنوات الاعلامية المكتوبة والالكترونية، ابتداء ببرنامج لاري كينغ الجليل حتى برنامج جي لينو الترفيهي الليلي. وصلت الأصداء الكثيرة التي أثارها الكتاب ايضا الى اعضاء مجلس النواب الامريكي، الذين يعبرون عن خوف ظاهر من مس شديد بالدعم اليهودي التقليدي للحزب الديمقراطي في أعقاب الاقوال الشديدة. زعمت ناطقة الكونغرس الجديدة، ممثلة الحزب الديمقراطي، نانسي بلوسي، انه «سيكون من الخطأ اعتقاد أن الشعب اليهودي سيؤيد أي نوع من الحكم، سواء أكان ذلك في اسرائيل أم في كل مكان آخر، يقوم على تمييز وعنصرية، وهو شيء يعارض تماما النظام الديمقراطي». تطرق عضو الكونغرس جون كونرز ايضا الى الكتاب عندما زعم ان على كارتر ان يغير الاسم الذي وصفه أنه «مؤذٍ وكاذب».

«الكتاب ليس عن اسرائيل»، يُبين كارتر في مقابلة خاصة مع «نهاية الاسبوع» (ملحق معاريف). «لا توجد لدي أية نية لتحليل اجراءات سياسية تتم داخل دولة اسرائيل، التي هي دولة ديمقراطية تمنح جميع مواطنيها تساوياً في الحقوق، ومواطنيها العرب ايضا».

■ ومع كل ذلك، سيدي الرئيس: «تمييز عنصري»؟ لا تستطيع ان تستعمل كلمة «تمييز عنصري» لوصف العلاقة بالفلسطينيين وان تزعم بمقابلة ذلك أنك لا تنتقد دولة اسرائيل.

■ يتناول الكتاب الفلسطينيين، وهو يصف أحداثا تجري في المناطق المحتلة، تشتمل هذه الأحداث على استغلال الاراضي الفلسطينية على أيدي مستوطنين يهود، وعلى طرد الفلسطينيين من بيوتهم، والظلم الذي يعيشونه كل يوم، والشوارع الخاصة التي تُمهدها اسرائيل لاستعمال السكان اليهود وحدهم، وعلى السور الاسمنتي الذي يُبنى الآن على ارض فلسطينية، بالطبع.

■ ان «التمييز العنصري» كلمة مشحونة مع سياقات واضحة. هل تستطيع ان تُسوي بين الحالة في جنوب افريقيا وبين تلك في الشرق الاوسط؟

■ لا شك في ان الاضطهاد الذي يعيشه الفلسطينيون الآن أشد كثيرا من الوضع الذي كان في جنوب افريقيا في سنوات التمييز العنصري.

■ هل جدار الفصل، الذي اخترت ان تعرض صورته على الصفحة الرئيسية، هو العنصر الأبرز لما تُسميه «نظام التمييز العنصري»؟

■ الحديث ليس عن جدار. هذا سور، سور اسمنتي ارتفاعه 15 مترا تقريبا. لا يبدو الجدار على هذا الوجه. هكذا يبدو جدار مبنى.

■ لكن بناء جدار الفصل أفضى الى انخفاض كبير لعدد العمليات الانتحارية.

■ هل تعتقد حقا ان السور ناجع في منع اطلاق صاروخ نحو اسرائيل؟ الحديث ليس عن جدار لأهداف امنية، بل عن جدار يهدف الى حبس الفلسطينيين، ومنع الحركة، حركة الأبرياء ايضا، نحو مناطق اسرائيل. كان التخطيط الأصلي للسور لرئيس الحكومة السابق اسحق رابين، بيد أنه منذ ذلك الحين غيره شارون واولمرت وصيغ بحيث يستطيع أخذ قدر أكبر من المناطق من السكان الفلسطينيين. السور لا يحمي اسرائيل بل يمنع الفلسطينيين من ان يلتقوا ببعضهم بعضا ويسجنهم في سجون كبيرة.

يوجد شريك، وأنتم تتجاهلونه

■ تصف في الكتاب بيغن، والسادات في الأساس، كمن كانا ذوي التزام حقيقي لاحراز سلام بين دولتيهما. هل تستطيع ان تقول شيئا مشابها ايضا عن القادة الحاليين في اسرائيل وفي السلطة الفلسطينية؟

■ لا ريب في ان بيغن والسادات ايضا برهنا على شجاعة وجرأة في التوقيع على اتفاق السلام بين دولتيهما. يجب ان نتذكر أن بيغن وافق خطيا على تحقيق القرار 242 الصادر عن الامم المتحدة واعطاء الفلسطينيين حكما ذاتيا تاما في المناطق المحتلة. لأسفي، لم ألقَ منذ ذلك الحين من الطرفين قادة كانوا ذوي شجاعة وحكمة سياسية يمكن موازنتها بما كان لكليهما.

■ في تطرقك الى بيغن تكتب في الكتاب ان «قوته السياسية نبعت من ايمانه الديني العميق». لكن الدين اليوم يرُى أحد العوائق الرئيسية في سبيل السلام.

■ أتفق معك على ان الدين اليوم أصبح عاملا اشكاليا وبقدر كبير ايضا متشددا في معارضته المصالحات واتفاقات السلام. ومع ذلك أكدت هوية بيغن الدينية في الأساس من اجل تمييزه عن السلطة العلمانية التي ميزت فترة حكم غولدا مئير، التي مكثت في حضرتها ساعات كثيرة. في آخر الامر، لا يمكن تجاهل حقيقة ان مناحيم بيغن كان يهوديا ذا هوية دينية عميقة كما كنت أنا بالضبط ذا توجه مسيحي عميق وكان السادات ذا توجه اسلامي.

بعد ان يوافق كارتر ايضا على ان الغُلو الديني لمنظمات مثل حماس يُفشل محاولات المصالحة، يمتنع عن توجيه نقد معلن الى قيادة المنظمة. يختار كارتر كمن أرسل ما يزيد على 150 مراقبا يراقبون الانتخابات الأخيرة التي أُجريت في السلطة الفلسطينية، رغم رفض حركة حماس الاعتراف باسرائيل، ان يعود ويؤكد حقيقة ان حماس تمتنع في خلال العامين الأخيرين من تنفيذ أي نوع من العمليات الانتحارية الموجهة الى اسرائيل. بمقابلة ذلك يعود ليعرض أبو مازن كمعروف من قبل الولايات المتحدة ودولة اسرائيل ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني. وعلى نحو مشابه يُبين كارتر ان الزعم الذي يقول ان ياسر عرفات كان عائقا في طريق السلام ليس صحيحا. ويزعم أن عرفات قد عيّن في السنين الثلاث الأخيرة من حياته أبو مازن لرئاسة الحكومة الفلسطينية، وكان هذا عنوانا أهلا وصادقا لاجراء تفاوض من قبل الشعب الفلسطيني. يقول كارتر إن أبو مازن «رجل سلام» يشتاق الى بدء تفاوض ويلقى رفضا من قبل اسرائيل والولايات المتحدة. ويزعم ان الولايات المتحدة بقيادة بوش لا تشعر بالتزام حقيقي للسلام بين اسرائيل والفلسطينيين. بوش كما يرى، طالب حرب، وهو الرئيس الامريكي الوحيد الذي اختار الخروج الى حرب لا يقتضيها الواقع على العالم العربي.

«منذ ست سنين والفلسطينيون لهم قيادة أهلٌ في صورة أبو مازن، الذي يعبر مرة بعد مرة عن رغبته القوية في فتح قناة تحادث مع اسرائيل، ويلقى الرفض»، يزعم كارتر ويوجه اصبع الاتهام الى القيادة الاسرائيلية برئاسة شارون واولمرت.

■ في الحقيقة ان أبو مازن رئيس للحكومة لست سنين، بيد أن عرفات في غضون ما يزيد على اربع سنوات منها كان الرجل الأقوى في السلطة الفلسطينية.

■ في اللحظة التي انتُخب فيها بوش رئيسا للولايات المتحدة قبل ست سنين زعم من فوره ان عرفات ليس ممثلا أهلا للشعب الفلسطيني ولهذا رفض الحديث معه. بعد ذلك، بعد أن زعمت اسرائيل برئاسة اريل شارون أن عرفات غير ذي صلة، اختار الزعيمان، بوش وشارون، ابو مازن رئيسا للحكومة الفلسطينية. بيد أنهما لم يريدا الحديث معه آنذاك ايضا. وبهذا فان محاولة اتهام عرفات بكل شيء غير حقيقية. النقطة هي أنه لمدة ست سنين كان يوجد عنوان يسمى ابو مازن، ورفضت اسرائيل الاعتراف به.

■ ألا تتجاهل رئيس الحكومة اسماعيل هنية وحركة حماس التي فازت في الانتخابات الأخيرة؟

■ حماس غير ذات صلة. المنظمة الوحيدة التي اعترفت بها اسرائيل والغرب ممثلا للشعب الفلسطيني هي م.ت.ف. المهم من يترأس م.ت.ف، وفي هذه الحالة فان الحديث عن أبو مازن. كذلك من المهم ان نتذكر أن هنية أعلن أكثر من مرة أنه لن يمنع اجراء محادثات سلمية بين اسرائيل وأبو مازن، بشرط أن يؤتى بكل اتفاق يتم احرازه ليصادق عليه الشعب الفلسطيني باستفتاء شعبي، وبهذا لا يوجد من ناحية عملية أي معنى خاص لاجراء تفاوض مع حماس.

مبادرة جنيف فقط

بموازاة نقده الموجه الى السياسة الاسرائيلية يرفض كارتر أن يلقي على كواهل الفلسطينيين أي نوع من الخطأ على مدى سني نضالهم لدولة اسرائيل. انه يصف عرفات كمن «فاز في الماضي بجائزة نوبل للسلام ووقع على اتفاقات اوسلو مع الجانب الفلسطيني»، ويقول عن قيادة حماس انهم سيقبلون بمباركة أي نوع من اتفاق يتم احرازه مع دولة اسرائيل. عندما يثار ايضا سؤال خطبة اولمرت الأخيرة في سديه بوكير ودعوته الى تجديد التفاوض مع الاستعداد لتنازلات بعيدة المدى من قبل اسرائيل، يصعب على كارتر أن ينضم الى اولئك الذين عبروا عن أمل تغير في الأفق.

«لا يوجد في اقتراح اولمرت أي شيء جديد»، يقول، «على حسب ما أفهم، الحديث عن انسحاب جزئي فقط من الضفة الغربية. سيبقى السور في محله وسيلغى حق العودة. وبهذا لا يوجد في هذا الاقتراح أي تقدم، يتجاوز كونه يمكن أن يكون اقتراحا أوليا يكون قاعدة للتفاوض فقط، لكنه ليس بيقين نوعا من الحل. الحل الوحيد الذي طرحه الجانب الاسرائيلي وأقبله هو مبادرة جنيف».

يجري الحديث مع كارتر بعد زمن قصير من نشر لجنة الفحص للحزبين للتحقيق في الحرب في العراق، برئاسة جيمس بيكر ولي هاملتون، توصياتها. لا يخفي كارتر تأييده لتوصيات اللجنة، التي تدعو من جملة ما تدعو اليه الى تجديد التفاوض بين اسرائيل والفلسطينيين والى انسحاب اسرائيل من المناطق. «أؤيد تأييدا تاما دعوة اللجنة الى البدء بمحادثات سلام بين اسرائيل والفلسطينيين فورا، بل آمل أن يكون كتابي قاعدة لتلك المحادثات».

ان كارتر، كما يسارع الى البيان، يؤيد ايضا فتح قناة محادثات مباشرة مع سورية ومع ايران ايضا، ويؤكد «لا مع سورية وايران فقط، بل مؤتمر سلام عام اقليمي يشتمل على دول الخليج مثل السعودية، وعلى الاردن والفلسطينيين وسورية وايران بل على فرنسا وروسيا». يرفض كارتر تفهم الخوف الذي أُثير لدى الجانب الاسرائيلي من طلب انسحاب ممكن من الجولان، كما من سائر المناطق ايضا، ويعود الى زعم أن الأساس في تلك المحادثات يجب أن يكون التطبيق التام للقرارين 242 و338 اللذين يتصلان باعادة جميع المناطق، وكذلك تطبيق حق العودة الى داخل اسرائيل. يأمل كارتر ايضا أن تعود الولايات المتحدة تحت قيادة بوش الى لعب دور رئيسي في تلك المحادثات. «أريد بالتأكيد أن أرى الولايات المتحدة وادارة بوش يلعبان دورا نشيطا ورئيسيا في تقديم المسيرة السلمية بين اسرائيل والعالم العربي، كما كان في فترة رئاسة بوش الأب».

■ هل تدفع الولايات المتحدة الآن ثمن تأييدها لدولة اسرائيل لسنين طويلة؟

■ على نحو شخصي، لا توجد لي أية معارضة للتقارب الكبير بين اسرائيل والولايات المتحدة، بيد أنني اعتقد يقينا أن الولايات المتحدة تدفع الآن الثمن عن أنها تجاهلت لسنين طويلة معاناة الفلسطينيين الكبيرة على ارضهم، والظلم المتواصل، والقمع الشديد والاستغلال الذي جرى عليهم.

■ ترفض الادارة الامريكية تعريف الوضع في العراق أنه «حرب أهلية». كيف ترى الأمور؟

■ نعم بالتأكيد! ما يحدث الآن هو حرب أهلية مع كل ما يُفهم من ذلك. لكن بوش ومساعديه لهم الحق في اختيار اللغة التي يريدون استعمالها في شأن الوضع في العراق. ليست لي مشكلة مع ذلك، لكن اذا كنت تسألني، فانها حرب أهلية بالتأكيد.

■ منذ وقت غير بعيد عرفّت الحرب الاسرائيلية في لبنان أنها «غير عادلة». اذا كان الامر كذلك، أي رد كان على اسرائيل أن تأخذ به إزاء هجوم حزب الله في الحدود الشمالية؟

■ اعتقد بالتأكيد أن لاسرائيل الحق التام في الدفاع عن نفسها، وأن تعمل في ضمن ذلك ايضا في مقاومة حزب الله. ما لا أقبله هو تصريح رئيس الحكومة اولمرت عن أن هجوم حزب الله هجوم من قبل لبنان كله. اعتقد ايضا أن رد اسرائيل كان مبالغا فيه وغير تناسبي. كان قصف المنطقة حول الليطاني مسا بالأبرياء وهذا شيء لا أقبله.

ياسر عرفات

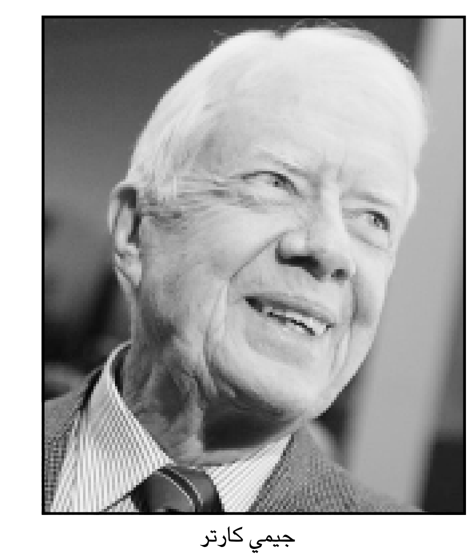

جيمي كارتر

أجرى المقابلة: تساح يوكيد ـ نيويورك
ملحق (معاريف) 2006/12/15

اولمرت شخص ذو غريزة قوية على التدمير الذاتي.. أعداؤه كثيرون ولكنه العدو الأكبر لنفسه

منتدى سابان جسد مدى الكآبة والخوف المستشريين في نفوس القيادتين الامريكية والاسرائيلية من المشكلة العراقية والايرانية والاخفاقات في السياسة الخارجية الامريكية

■ مزرعة «إيفرماي» هي مزرعة يبلغ عمرها 214 عاما وتقع عاليا فوق جورج تاون، الحي الراقي في واشنطن العاصمة. من يود ان يستنشق هواء تاريخيا سيجد الكثير منه هناك.

مساء يوم السبت الأخير أُقيمت الى جانب المنزل في المزرعة خيمة كبيرة للضيوف الامريكيين والاسرائيليين الذين جاؤوا للمشاركة في «منتدى سابان»، هذا المنتدى الذي يُعقد سنويا بمبادرة رجل الاعمال حاييم سابان. الشموع أُشعلت هناك وبدا الناس فيها بهيجين فرحين.

طوال نهاية الاسبوع تداول الحضور في وضع دولتيهما الصعب. تحدثوا هناك عن ايران وعن العراق وعن حماس وعن حزب الله والقيم التي يزرعها الاسلام المتطرف. تحدثوا عن ازمة الطاقة وازمة القيادة وتوقفوا عند الأخطاء التي لا تُغفر التي ارتكبتها ادارة بوش. طوال سنين عديدة تسنى لي ان أستمع الى عدد غير قليل من مثل هذه النقاشات: الا ان هذا المؤتمر كان أكثرها كآبة وترديا. وربما يمكن القول انه كان أكثر النقاشات يأسا. الامريكيون ذرفوا الدموع على فشلهم في العراق، والاسرائيليون تباكوا من التهديد الايراني، والانكسار في لبنان، وانفراط الحكم في فلسطين. الحاضر أزعجهم وأقلقهم، والمستقبل يخيفهم. لو تسنى لأيوب أن يأتي الى هناك لاستقال بسبب الكآبة.

كان هناك تمثيل محترم من كبار الحزب الديمقراطي، ومن بينهم هيلاري كلينتون وجوزيف ليبرمان واعضاء يهود بارزين في مجلس النواب. قبل شهر فقط كانوا غارقين في نشوة هائلة بسبب انتصارهم في انتخابات مجلسي النواب والشيوخ، والآن ذهبت السكرة وجاءت الفكرة: الهزيمة في العراق مطلقة، من دون أي احتمالية لتحسين الاوضاع، وستكون مسجلة على اسمهم ايضا.

عشية مؤتمر سابان السنوي نشرت لجنة بيكر ـ هاملتون توصياتها للانسحاب من العراق. في اسرائيل ركزوا على المسائل ذات العلاقة المباشرة باسرائيل: توصية دفع التسويات بين اسرائيل وسورية والفلسطينيين على أساس خطوط حزيران (يونيو)، وتوصية عقد مؤتمر سلام اقليمي، والتوصية بتخفيف المقاطعة الامريكية المفروضة على ايران وسورية.

ولكن حكايتنا لم تكن أكثر من مجرد ملاحظة عابرة. التقرير كله يدور حول العراق، وهو كما يبدو يوفر للرئيس سلما للنزول عن الشجرة العراقية، ولكن على ارض الواقع هو عبارة عن لائحة اتهام. ستة متقاعدين محترمين من خريجي الادارات الجمهورية والديمقراطية السابقة يطالبون الرئيس بأن يعترف بأن كل ما فعله خلال سنوات حكمه الست كان حماقة. الرئيس فشل ليس في التنفيذ فقط: كل الركيزة القيمية التي سار معها للحرب كانت خاطئة.

عندما يتعلق الأمر بأكثر من ألفي جندي امريكي قتيل وأكثر من 400 مليار دولار غرقت في رمال الهزيمة العسكرية والسياسية التي قد تُضعف امريكا لسنوات قادمة، لا يمكن لأي رئيس أن يعترف طواعية بمثل هذا الفشل، خصوصا بوش الابن.

بوش جلس قبل تسلم هذا التقرير مع بيكر في جلسة منفردة. بيكر قال له ما قاله وشعر بأن الرئيس سيقبل التوصيات، ولكن عندما وُضع التقرير على طاولة بوش رسميا بدأ يتراجع، وفور ذلك عُقد في البيت الابيض نقاش بمشاركة الرئيس وتقرر دفن التقرير دفن الحمار.

كيف يمكن دفن تقرير؟ عن طريق الاغراق. البيت الابيض أمر وكالات الادارة الامريكية المختلفة بصياغة تقاريرها حول الوضع في العراق، كل تقرير وتوصياته. كثرة التوصيات ستعطي الانطباع حسب اعتقادهم بأن شيئا ما يتزحزح، وأن هناك حلا في نهاية المطاف، المهم فقط ان يسمحوا للخبراء بالتوصل من خلال عملية منتظمة الى صيغة الخلاص. تماما مثلما يؤمن الاسرائيليون بالتلقائية والعفوية، فان الامريكيين يؤمنون بدورهم بالعملية المنتظمة. مع انتهاء حرب لبنان قام رئيس هيئة الاركان حلوتس باتباع نهج مشابه، وطلب من جنرالات متقاعدين اجراء تحقيقات كثيرة. التقارير التي تصدر عن هذه التحقيقات مريحة له أكثر من تحقيقات الهيئات التي لم يقم بتعيينها. نفس الشيء يُقال عن بوش، ولكن هذه التقارير لن تساعده كثيرا في العراق.

وزيرة الخارجية الامريكية كوندوليزا رايس، أخذت على عاتقها جُل الصراع ضد تقرير بيكر. التقرير حسب قولها لا يعطي ردا عمليا على أي مشكلة من المشاكل التي تواجهها الادارة الامريكية. هو يقترح نقل المسؤولية للجيش العراقي وكأن هناك جيشا عراقيا موحدا يمكن نقل الصلاحية اليه. وهو يقترح التفاوض مع ايران في الوقت الذي تطور فيه سلاحا نوويا، والصفح عن سورية لقتلها رئيس حكومة دولة مجاورة. هو يتحدث عن تسوية مناطق مقابل السلام بين اسرائيل وجاراتها، ولا يدرك أن المناطق لم تعد المشكلة التي تحول دون عقد تسوية سلمية اسرائيلية ـ عربية.

في يوم السبت استضافت رايس تسيبي لفني في منزلها. منزل رايس يقع في برج سكني في ووترغيت، لفني التي خشيت من اثارة الجلبة حول قيامها بتجاوز حرمة السبت، اختارت الاقامة في فندق موجود في نفس المكان.

من المكن التخمين بأن رايس قالت لها ما قالته للآخرين: لا تقلقوا، بيكر لن يكون. ايران في نظر الادارة الامريكية هي عدو وليست شريكا. الخطر المباشر يواجه الانظمة العربية التي تؤيد امريكا. الرأي العام في تلك الدول يتغذى من شبكات اعلامية مثل «الجزيرة» ومن مواقع الانترنت المؤيدة للارهاب. الانظمة ليست ديمقراطية. ورغم ذلك هي تتأثر من الرأي العام الذي يتأثر من الدعاية الاسلامية. الادارة تدرك انه لا يوجد من يمكن التفاوض معه اليوم حول حل للصراع. بيكر على قناعة بأن الحل يمر من خلال القدس. رايس على قناعة بأن هذا الحل لا يمر من هناك. بالرغم من ذلك يتوجب أن تكون هناك عملية سياسية من اجل ملء الفراغ حتى لا تمتلئ الشاشات بصور الاطفال القتلى في قانا وبيت حانون. الادارة الامريكية تحاول رعاية ما تسميه «الرباعية العربية» ـ مصر، السعودية، الاردن ولبنان. بوش يستطيع أن يمنح نتان شيرانسكي ميدالية الحرية كتكريم له على نشاطه من اجل الديمقراطية، ولكن الحملة الديمقراطية التي كانت شيرانسكي ورقة التين فيها هي مسألة هامشية ولا أهمية لها. شيرانسكي ليس الاول ولا الأخير الذي يحصل على ميدالية عن الهزيمة في المعركة. والآن لنعد الى منتدى سابان: الاسرائيليون الذين جاؤوا الى هناك طلبوا كل وفق اسلوبه بأن تلتزم امريكا بمهاجمة ايران عسكريا، إن لم يكن كوسيلة اولى فكوسيلة أخيرة. الجواب كان مبهما من قبل ممثلي الادارة الامريكية في المنتدى، أما السياسيون الديمقراطيون فقد ردوا بصورة مربكة. الديمقراطيون سُروا لتبني تقرير بيكر ـ هاملتون. هم يفضلون التحدث عن العدو وليس تهديده. اولئك من أمثال هيلاري كلينتون الذين يحلمون بالوصول الى الرئاسة، يستغلون كل قدراتهم البيانية للتنديد بأخطاء بوش وتشيني، لديهم كلمات كثيرة ذات صبغة اختصاصية وبلاغية مؤثرة تسعى بالأساس الى طمس حقيقة انهم هم ايضا لا يملكون الحل.

اثنان صعدا الى المنصة لاسماع صوتيهما: بيل كلينتون وشمعون بيريس. المستمعون أصغوا باهتمام، والعيون كانت شاخصة، فربما يسمعون خبرا سارا ومتفائلا من كهلي القبيلة. وفقا لقواعد اللعبة المعتادة في مثل هذه الأحداث، أنا محظور من الاقتباس. كل ما استطيع قوله فقط هو أن الرئيس الامريكي السابق لم يحمل البشائر. يبدو أن مسائل اخرى هي التي تشغل باله وقلبه الآن. هو تحدث عن مشاكل الشرق الاوسط بنفس الحماسة التي يتحدث فيها طبيب في مستشفى المرضى الى مريضه المصاب بالزكام.

بيريس كان كعادته صاحب بشائر كثيرة. ولكن لأسفي الشديد يحظر علي ايضا أن اقتبس ما قاله. بامكاني التحدث عن احدى هذه البشائر: خطة حفر قناة بين البحر الاحمر والبحر الميت. دراما كبيرة. عندما طرح بيريس خطته هذه لم يتحدث الينا، وانما تحدث الى كلينتون آملا أن يحسم كلينتون في الخصام الدموي بينه وبين فؤاد بن اليعيزر. هذه القناة هي حلم قديم أثار عواطف حكومات كثيرة. الخطة الحالية ترمي بالأساس الى انقاذ البحر الميت الذي يفقد مترا من سطحه في كل سنة. خلال أكثر من اربعين عاما قد يتحول الى بقعة صغيرة على خارطة الشرق الاوسط.

بيريس في اطار تحركاته لانضاج مشروعه حاول اقناع كلينتون بترؤس مجلس ادارة المشروع، ولكنه فاجأه بأنه سمع ان بن اليعازر ينوي طرح مشروعه الخاص لحفر القناة، على الحكومة، وفي السابع من تشرين الثاني (نوفمبر) كتب رسالة لرئيس الوزراء حذره فيها من ان تحركات بيريس تحدق الخطر بمشروع القناة. اولمرت بدوره دعا فؤاد اليه وكان بينهما لقاء صعب. فؤاد قال لاولمرت ان رئيسي وزراء سابقين في الاردن قالا له انهما مستعدان لدفع المشروع تحت شرط واحد هو ان لا يكون بيريس على رأسه. اردني آخر اشتكى لفؤاد بأن بيريس يبيع الاردنيين أحلاما فارغة. هو يتحدث معهم بفوقية وكأنه رجل العالم وهم الاطفال الصغار. فؤاد قال لاولمرت معقبا على ذلك «أعطني شيئا واحدا قام به بيريس».

فؤاد عرض على اولمرت رسائل كان قد تلقاها من ممثل شركة ومن أحد ممثلي الدول المانحة. هم اقتبسوا مقاطع من الصحافة الاسرائيلية حول خطة بيريس. ما الذي يحدث مع خطتنا ومن المسؤول ومن الذي يقود ومن الشريك. كانت في حقيبة فؤاد قصاصة صحيفة وهي نبأ من الصحيفة الاردنية «الحياة الجديدة» كُتب فيها: «بيريس يطالب بملكية اراضٍ في الاردن». فؤاد طالب اولمرت بأن يُقيل بيريس إلا أنه لم يستجبْ له، ووافق على سفره الى الاردن لعقد لقاء ثلاثي اتُفق خلاله على الشروع بفحص امكانية تنفيذ المشروع. اللقاء جرى في العاشر من كانون الاول (ديسمبر)، غداة لقاء بيريس مع كلينتون في واشنطن. في هذا اللقاء حل ّمستشار أبو مازن السياسي مكان الوزير الفلسطيني، وبذلك تم حل مشكلة التعاون مع حكومة حماس. المشكلة في كل هذه الحكاية أن اولمرت ليس ذا سلطة مركزية تُمكّنه من حسم النزاعات بين وزرائه، وهو لا يستطيع أن يضبط بيريس ولا يستطيع ركل فؤاد، وربما يستمتع كذلك من لعب العجائز أمامه، كما يقول لنفسه. احتمالية حفر القناة ليست كبيرة، المشاكل البيئية معقدة، والمنظمات الخضراء ستعترض، ومن المحتمل جدا أن يكون صراع بيرس وفؤاد على قناة لم تولد.

ما تبقى من زلة اللسان

ايهود اولمرت يقول ان رحلته الى المانيا وايطاليا تكللت بالنجاح بنسبة تفوق 90 في المئة. أحد مستشاريه قال لي الخميس أنه يقلل من قيمة انجازاته. وانه كان من الأصح أن يقول أن نسبة النجاح تفوق الـ100 في المئة.

لشدة الأسف كل الامور الجيدة التي سمعها من المستشارة الالمانية ومن رومانو برودي لا تتعادل مع الضرر الذي ألحقه بنفسه، وربما ايضا بالمصلحة القومية. زلة لسانه في موضوع الذرة. الضرر القومي تجسد من خلال السرعة التي تبنى فيها الايرانيون العناوين التي نشرت في اسرائيل وحاولوا من خلالها حرف الأنظار عن الضغط الممارس عليهم في موضوع الذرة، مُسلطين الأضواء على اسرائيل. ما قاله اولمرت جاء في توقيت ليس هناك اسوأ منه.

من المكن اصلاح الضرر القومي من خلال عمل سياسي واعلامي. أما الضرر الشخصي فمن الصعب تصحيحه. اولمرت يبدو كشخص يتغلب عليه لسانه. هو ليس الوحيد في حكومته الذي يعاني من مشكلة اللسان، ولكن التوقعات منه أكبر من غيره، فهو رئيس الوزراء. كلما ازداد عدد الأخطاء في هذا المجال، تعزز الانطباع بأن اولمرت شخص ذو غريزة قوية على التدمير الذاتي. أعداؤه كثيرون، ولكنه العدو الأكبر لنفسه.

ناحوم برنياع
محلل رئيسي للصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/12/15

يجب تثبيت الخط الاخضر في الوعي الاسرائيلي العام كحدود دائمة للدولة من الشرق لان اسرائيل تستطيع الاستمرار دون اجتيازه شرقا

■ بجرة قلم مهمة نجحت وزيرة التربية، يولي تمير، بأن تعيد الى جدول الاعمال العام المسألة الاساسية التي لم يكن يجب دفعها جانبا: قوة الخط الاخضر، ومعناه ومقدار شرعيته. القرار عقائدي كما ان قرار محو خط وقف اطلاق النار من سنة 1949 من الكتب الدراسية كان عقائديا.

يصعب ان نفهم لماذا كان محو الخط سائغا، اما اعادته فيراها المستوطنون ومؤيدوهم عملا مرفوضا من كل جهة. الصحيح انه لا توجد اية قداسة لخط وقف اطلاق النار تتجاوز ان جعله حدا رسميا هو القاعدة الوحيدة المكنة لاقرار التسويات الاقليمية النهائية لاسرائيل ولانهاء حرب مع الفلسطينيين ومع الدول العربية ايضا. تحتاج الدولة الى حدود معترف بها ومتفق عليها. والا فانها تقضي على نفسها بالحرب الدائمة.

أحد مصادر الكوارث التي أصابت اوروبا في القرن العشرين كان حقيقة أن الحرب لتوحيد المانيا، لا بالمعنى السياسي فقط بل بالمعنى الثقافي ايضا، استمرت نحوا من مئة سنة، ولم تكن في نهايتها لاقوى دولة في قلب القارة حدود تراها هي نفسها نهائية.

اكثر الحدود المعروفة في العالم العربي هي حدود سياسية، عرضية في الاكثر، نتاج حروب وصراعات كان يجب في مرحلة ما وضع حد لها. وليست كذلك الحدود بين بولندة والمانيا في الشرق والغرب فقط، بل ايضا الخطوط التي تفصل ايطاليا عن سويسرا، وفرنسا عن جميع جاراتها وبلجيكا عن هولندا. وهو حكم الحدود بين الولايات المتحدة وكندا والمكسيك. في اوروبا الغربية تشق الحدود فئات سكانية ذات نفس الهوية الثقافية والعرقية تتحدث اللغة نفسها. هذه حدود مصنوعة، حقها في الوجود هو الاعتراف بأنه لا يحل الشك فيها لانها تخدم مصلحة الجميع. في هذه المناطق أيضا جرت حروب ذات مرة.

في هذه النقطة يبدأ الجدل الكبير بين المعسكرات في اسرائيل. سيقال من الفور ان الحق مع المستوطنين عندما يزعمون انعدام جذور واساس تاريخي لوجود الخط الاخضر. لكن هذا سيف ذو حدين: اذا محت اسرائيل الخط من 1949، فان العالم العربي أيضا لا يلتزمه. اذا كان يحل للاسرائيليين ان يلغوا نتائج حرب الاستقلال، فلماذا يلتزم العرب ومعهم سائر العالم بالاعتراف بحقائق حددت آنذاك؟ أين المصلحة الاسرائيلية في الاخلال بشرعية الانجازات من أيام اقامة الدولة القومية اليهودية؟

لهذا يجب الان تعميق وتأسيس مكانة خط وقف اطلاق النار في وعي الاسرائيليين الشبان، وهم ضحايا غسل حكومات اليمين أدمغتهم، من أجل ان يحدد نهائيا انه لا توجد ولن توجد عودة عن نتائج حرب الاستقلال. بكلمات اخرى: لن يحاول الاسرائيليون نقل الخط الحدودي الى الشرق، أما الفلسطينيون فسيكفون عن حلم العودة الى المنطقة غربيه.

لا يستطيع السلام الا ان يكون صفقة عامة. حتى لو كان معسكر المستوطنين محقا في قوله انه لا يوجد فرق جوهري بين مستوطنة في كفار سابا ومستوطنة في اريئيل، فانه يخطىء خطأً حاسما في قضية الوجه الاخر للمشكلة: كان احتلال البلاد حتى سنة 1949 حيويا وضروريا ولهذا كان محقا أيضا لانه كان فيه تحقيق لحق اليهود في الاستقلال وتقرير المصير. بمقابلة ذلك، ليست الاحتلالات بعد 1967 شرعية لانها غير ضرورية ولا تخدم اي هدف قومي حيوي.

ان الحقوق التاريخية في ذاتها لا تسوغ سفك الدماء الذي لا ينقطع؛ والى ذلك يوجد للفلسطينيين ايضا حقوق تاريخية وحقوق طبيعية في الحرية والاستقلال. سينتهي دوس هذه الحقوق الى دفع اسرائيل الى حواشي العالم الغربي وتعريض مصالحها الحقيقية للخطر. اسرائيل، اكثر من دول كثيرة اخرى، محتاجة الى تأييد دولي كالهواء للتنفس. كانت الحركة القومية اليهودية منذ فجر وجودها موجهة باحساس ان الارض تشتعل تحت قدميها. من أجل انقاذ اكبر عدد ممكن كان يحتاج الى احتلال البلاد. ان بناء البيت القومي واحداث الاستقلال خدما هذا الهدف الاساسي، واثبت حتى 1967 انه يمكن الحصول على جميع اهداف الصهيونية في الحدود التي اقرت حتى ذلك الحين. لم تكن حاجة الى المضي شرقا: ان المناطق هي عبء وثقل، ورحى اخلاقية، وسياسية واقتصادية على عنق المجتمع الاسرائيلي.

اثبت الانفصال من غزة، ان هذا رأي اكثر الاسرائيليين: فرغم الأ لم الشخصي لطرد الناس من بيوتهم أدركت الكثرة ان الاحتلال ليس ضروريا وليس محقا. ومن كوزيرة التربية يعلم ذلك! انها تعمل في المجال الذي تتولى المسؤولية عنه لتحقيق مبادىء وسياسة اختيرت من أجلهما. كان الامر سيكون حسنا لو كان يمكن ان نقول الشيء نفسه عن الحكومة كلها.

زئيف ستيرنهل
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/12/15